د. على منصور نصر(*)

معابر الحضارة العربية الإسلامية للغرب الأوروبى

تعددت المعابر التى سلكتها الحضارة العربية الإسلامية فى وصولها إلى الغرب الأوروبى، فكانت هناك ثلاثة معابر رئيسية ، تمثلت فى الأندلس وصقلية والحروب الصليبية ومعبرين مساعدين هما التجارة والترجمة. واختلفت هذه المعابر فيما بينها من حيث النشاط وكمية المنقول الحضارى والثقافى. وإن نظرة فاحصة للمنقول من عناصر الحضارة العربية الإسلامية والطريق الذى عبرته يستدل منها بأن الأندلس كان الجسر الرئيسى فى عملية انتقال الحضارة العربية إلى الغرب الأوروبى وذلك لأن الاحتكاك الأوروبى بالعرب استمر مع المشرق والأندلس فترة ثمانية قرون بينما استمر مع صقلية ثلاثة قرون فقط، وتأتى أهمية الحروب الصليبية باعتبارها وسيلة ساعدت على نقل الحضارة العربية الإسلامية إلى الغرب الأوروبى وهنا برزت أهمية التجارة ثم الترجمة كعاملين مساعدين، أثرا إلى درجة كبيرة فى نقل الكثير من معالم هذه الحضارة إلى الغرب الأوروبى كذلك. وفيما يلى عرض لأهمية كل معبر من هذه المعابر :

أولا : معابر رئيسية :

١- الأندلس :

فتح المسلمون إسبانيا عام (٩٢هـ / ٧١١م) وحرروها من حكم القوط البرابرة ، ولم يكد يتم فتحها حتى أخذوا يمارسون نشاطهم الحضارى، فأقاموا حضارة بين ربوعها كانت

---

* أستاذ التاريخ الإسلامى المشارك – قسم العلوم الاجتماعية – كلية الآداب– جامعة البحرين.

امتدادا طبيعيا للحضارة الإسلامية فى المشرق ، فأكثروا من المنشآت ووطدوا ودعموا الصلات التجارية بين الأمم، ثم شرعوا يتفرغون لرعاية العلوم والآداب وينشئون المدارس ودور العلم التى ظلت زمنا طويلا مراكز الإشعاع الثقافى فى أوروبا ، وقد بهر أهل الأندلس من النصارى بهذه الحضارة إلى حد دفعهم إلى تعلم اللغة العربية . وعثر على قصيدة لمؤلف مجهول تقوم حوادثها على قصة سيدنا يوسف عليه السلام ، لذا سموها قصيدة يوسف وهذه القصيدة مكتوبة بحروف عربية ، على الرغم من أن كلماتها إسبانية وهى مثال لما عرف فى إسبانيا والبرتغال باسم الأدب الجميادى Literature Aljamida وهى كلمة مشتقة من العجمة Aja-ma ، وكان يستعملها فى أول الأمر الأسبان الذين كانوا يتكلمون العربية، ويحرصون عليها حتى بعد أن أخذوا يكتبون بالأسبانية ، ثم استعملها الموريسكيون الذين كانوا يكتبون الألفاظ الأسبانية بحروف عربية[1] وهذا اللون من الكتابة يدل على شدة تعلق الأسبان بلغتهم بعد أن غلبهم المسلمون على أمرهم.

وإذا كانت اللغة العربية قد أثرت بمفرداتها فى اللغة الأوروبية فإن ميدان الأدب فاق ميدان اللغة والألفاظ إذ صار للشعر العربى سحره الخاص فى أوروبا، ففى الشعر كان الشعر العربى يهتم بالقافية ويلتزم بها فى حين لم يكن الشعر الأوروبى الكلاسيكى يعنى بها . وقد لاحظ شعراء أوروبا الجمال الذى تضفيه هذه القوافى على الشعر العربى، فشرعوا يحاكونه إلى أن شاع اتخاذ القوافى فى أشعارهم . على أن هذا التأثير فى الشعر الأوروبى لم يرق للمتعصبين فأخذوا يحاربون استخدام القوافى فى الشعر باعتبارها دخيلة على أشعارهم ، ولم ترد فى الشعر الكلاسيكى . ولكن شعراء أوروبا لم يقيموا وزنا لهذه الحرب التى شنها أمثال (فيلاموفيتس) وبقيت القافية إلى اليوم دليلا يشهد على فضل الأدب العربى.

ومن المسائل التى شغلت بال الباحثين المعاصرين مسألة تأثير الشعر العربى الأندلسى فى نشأة الشعر الأوروبى الحديث فى أسبانيا ، وجنوبى فرنسا خصوصا أن هناك مواد عديدة جديدة تظهر كل يوم لتؤكد هذا التأثير، بل ولتثبت أن الشعر العربى الأندلسى فى الموشحات والزجل يعبر عن المرحلة الأولى لنشأة الشعر الأسبانى نفسه، وذلك فى الخرجة التى تكتب عادة بلغة أجنبية، وكانت فى الزجل الأندلسى تكتب باللغة الأسبانية الدارجة أو الرومانسية . فإذا جعلنا من الخرجة أبياتا أسبانية فإنها تصبح بمثابة النموذج الأولى للشعر الأسبانى، وبهذا يكسب الشعر الأسبانى أكثر من قرنين من الزمان [2].

لقد كان الشعر العربى في الأندلس ذا تأثير كبير على أوربا العصور الوسطى، وكانت هذه الأشعار والموشحات التى عرفتها إسبانيا تطوراً للشعر الغنائى العربى. لقد كان أدب إسبانيا العصور الوسطى انعكاسا للثقافة الإسلامية التى كانت أقرب إلى طبيعتهم من الحضارة المسيحية [٣].

لقد بقى المسلمون في بلاد الأندلس من ٧١١م إلى عام ١٤٩٢م أى حوالى (٨٧٠) عاما، وقد استطاع المسلمون خلال هذه الفترة الطويلة أن يؤثروا ويتأثروا بالبيئة الأسبانية فى الغرب، وبالبيئة العربية فى الشرق، فى كافة الأصعدة الحضارية ، ولم يكن الفتح العربى لأسبانيا مجرد احتلال عسكرى، بل كان حدثا حضاريا امتزجت خلاله الحضارات والشعوب المتعددة وأدى هذا التمازج إلى ولادة وتبلور الحضارة الأندلسية [٤].

وكانت الحضارة الإسلامية فى الأندلس تشع من مراكز متعددة مثل قرطبة ، وغرناطة ، وطليطلة ، ، حيث كان العرب والمغاربة هم الذين يغرسون جذورها وقد عرفهم الأوروبيون باسم الموريسكيين Moriscos, Moros . وكانت غالبية سكان الأندلس من المسيحيين قد تشبعوا بالحضارة العربية نتيجة لروح التسامح الذى تحلى به الحكم الإسلامى ، تجاه العلماء من شتى الأجناس، والأديان والذى شجع نزوح طالبى العلم من شتى أنحاء أوروبا إلى الأندلس . ومن هؤلاء كان جربرت (٩٣٠-١٠٠٣م) الذى تقلد البابوية باسم سيلفستر الثانى ، وقام برحلة إلى الأندلس بين عامى ٩٦٠م و٩٦٧م وكان تأثره بالعلوم العربية الإسلامية ، التى وجدها هناك عميقا وخاصة فى الرياضيات [٥].

كذلك استفادت الأندلس وغرب أوربا من الطب العربى الذى شهد تطورا بارزا فى المشرق، ثم انتقل بواسطة الأطباء والمؤلفات إلى الأندلس . وبرز من المسلمين داخل الأندلس الكثير من الأطباء وفى مقدمتهم بنو زهر ، وهى العائلة التى أنجبت عددا كبيرا من الأطباء المشهورين خلال ستة أجيال متعاقبة . وقطن بنو زهر اشبيلية ، القاعدة الأندلسية الشهيرة، واشتهر منهم أبو مروان بن عبد الملك بن زهر المتوفى سنة ١١٦٢م عن عمر يناهز ٧١ عاما كذلك محمد عبد الملك بن محمد بن زهر المتوفى سنة ١٠٧٨م [٦].

وكان أن أصبحت قرطبة عاصمة الحضارة العربية فى الأندلس ، وأنشأ حكامها مدارس للطب ، والفلسفة والعلوم، والفنون الأخرى، وبذلوا المال فى سخاء . وعندما بلغت دولتهم درجة عظيمة من الثراء والتقدم ، أرسل عبد الرحمن الثالث (٩١٢-٩٦١م) مبعوثيه لجمع الكتب

واجتذاب العلماء للبحث والدرس، والتأليف ، فأصبحت قرطبة موطنا للعلوم وفيها عدد ضخم من المستشفيات ، والأطباء ، والصيادلة والكيميائيين وعلماء النبات والفلك ، وصارت جامعتها ومكتبتها مراكزًا للعلوم والترجمة(٧).

وخير ما يعبر عن أثر الحضارة الإسلامية فى غرب أوروبا هو ما يرتبط بمعرفة صناعة الورق التى تعلمها مسلمو الأندلس من الشرق الإسلامى وعنهم انتقلت إلى أوروبا ، فبدأت هذه الصناعة فى إيطاليا، ثم عرفتها ألمانيا وإنكلترا، وفرنسا وذلك منذ حوالى سنة ١٣٠٠م. ولم تلبث أن نجحت صناعة الورق نجاحا كبيرا فى الأندلس ، فأخذت تقوم بتصدير الورق إلى المشرق الإسلامى كما نص على ذلك الإدريسى(٨).

ومنَّ المؤثرات العلمية للأندلس ، انتقال نظريات فى علم الرياضيات إلى الغرب الأوروبى عن طريق مؤلفات المسلمين ، ومن المعروف أن قرطبة لم تكن عاصمة سياسية للخلافة فحسب، بل كانت على غرار بغداد مركزا للبحث العلمى، وإذ كانت بغداد قد أطلق عليها عروس الشرق وأصبحت فى عهد الرشيد والمأمون عاصمة الدنيا، فقد أصبحت قرطبة فى عهد الناصر والمستنصر عروس الغرب وأيضا عاصمة الدنيا (٩).

ومن بين علماء الرياضيات فى الأندلس مسلمة المجريطى (المدريدى) أمام علماء الرياضيات فى الأندلس (المتوفى ٣٩٨هـ / ١٠٠٧م) ومن تلامذته ابن السمح (ت ١٠٣٤م) وابن الصفلاء والكرمانى وأمية بن أبى الصلت . كذلك من العلماء المسلمين البارزين فى الأندلس فى الرياضيات والذين أثروا فى أوروبا أبو الحسن على بن محمد على القلصاوى ، المولود بمدينة بسطة فى الأندلس (٨٢٥هـ / ٨٩١م) ومن كتبه (كشف الأسرار عن علم الغبار) وهو يعتبر أول من استعمل الرموز والإشارات الجبرية واقتبسته عنه غالبية علماء الرياضيات فى أوروبا (١٠).

هذا وقد عرفت أوروبا الأرقام الهندية، عن طريق العرب . لذا فإنها تعرف فى أوروبا إلى الآن بالأرقام العربية . ولفظ الصفر كما يلفظه العرب عرفه الأوروبيون ، كما نقل المسلمون إلى أوروبا عن طريق الأندلس الكسر العشرى الذى استخدموه فى عملياتهم الحسابية .

وفى ميدان الزراعة سجل مسلمو الأندلس أبحاثا متعددة ومن أشهر المؤلفين فى الفلاحة من الأندلسيين يحيى بن محمد بن العوام، صاحب كتاب الفلاحة وكذلك ابن بصال الذى اعتمد فى الفلاحة على تجاربه الخاصة . ثم ابن الخير الاشبيلى ، والحاج الغرناطى ، وفى مؤلفات

هؤلاء تحدثوا عن أصول فلاحة الأرض ، وكيفية العمل فى الزراعة والفراسة ، واهتموا اهتماما خاصا بأشجار الفاكهة ، فتبنوا أنواع الغرس ، وطريقة الحفر استعدادا للغرس ومواعيد الغراس، وكان لكتب العرب فى الفلاحة والنباتات أثرها فى تقدم الزراعة فى أوروبا(١١).

أما عن الدراسات العليا فقد استوعبتها المدارس التى انتقلت فكرتها إلى أوروبا عن طريق المسلمين عبر اتصال الأوروبيين بهم فى الأندلس. وهذا الأمر أصبح الآن فى حكم الحقيقة المؤكدة ، إلا أنه بالرغم من أن المدارس عند المسلمين كانت تدمج التدريس والبحث العلمى، فإن الجامعات التى نشأت فى أوروبا كانت تغلب عليها الصبغة الأكاديمية المدرسية ، ولم تكن تهتم بالبحث العلمى، ولعل ذلك يعود إلى طبيعة بنية المجتمع الأوروبى آنذاك، وإلى غلبة تأثير الفلسفة اليونانية التى انتقلت إلى الأوروبيين ضمن ما انتقل إليهم عن المسلمين(١٢).

وبدا تأثير الموسيقى العربية واضحا على الموسيقى الأندلسية من خلال الغناء الأسبانى الأندلسى المعروف باسم الفلامنكو Flamenco وكانت موسيقى الأغانى الأسبانية فى القرون الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، قد أثرت بدورها فى نشأة الموسيقى الأوروبية الحديثة. وقد تألق النجم المبدع زرياب فى الأندلس وذاع صيته وذكرت مواهبه ، وترك من المعالم الفنية ما دفع الموسيقى العربية والأسبانية إلى التطور والتجديد، واستطاع زرياب أن يغنى الموسيقى الأندلسية بعشرات الآلات الموسيقية ، فأصبحت لديهم ثروة من الآلات الوترية وآلات النفخ وآلات الإيقاع ، وانتقل الكثير من هذه الآلات إلى الغرب (١٣).

وهكذا ذاعت شهرة الأندلس برقى ثقافته ، وتقدم علومه بين طالبى العلم فى أوروبا فقصدوه ، ومما سهل عليهم تلقى العلوم العربية دون معرفة باللغة العربية، وإمكانية أخذهم مستعربين أندلسيين يعرفون العربية معرفة جيدة، إضافة لمعرفتهم باللغة اللاتينية، لغة الثقافة والكنيسة (١٤).

٢- صقلية :

نزل حبيب بن أبى عبيدة، حفيد عقبة بن نافع ، فاتح أفريقية سنة ١٢٢هـ أرض صقلية ، ومعه ابنه عبد الرحمن ، وفى نيته فتح الجزيرة كلها، غير أن قيام ميسرة السقا بثورة فى أفريقيا اضطره إلى العودة واحبط سعيه فحولت جهودهم عن صقلية، مما أدى إلى تنبيه الروم لمكانة الجزيرة ، وجعلها قاعدة حصينة(١٥).

ولما اتسعت الدولة الإسلامية وامتدت أطرافها فى خلافة عمر بن الخطاب (٦٣٤-٦٤٤م) كانت صقلية وجزء من جنوب إيطاليا ولايتين بيزنطيتين ، وكان الخليفة عمر بن الخطاب يعارض القيام بمغاطرات عسكرية عبر البحار، أو حتى عبر الأنهار الكبيرة ، إلا أن هذه السياسة أعيد النظر فيها ، فى عهد الخليفة عثمان بن عفان (٢٣-٣٥هـ) (٦٤٤-٦٥٦م). فلحماية المدن الساحلية التى فتحها المسلمون على ساحل الشام ومصر من خطر غارات البيزنطيين، الذين كانوا يمتلكون أسطولا قويا ، أنشئت قوات بحرية فى عهد معاوية بن أبى سفيان، الوالى على بلاد الشام آنذاك ، وعبدالله بن سعد الوالى على مصر، ولم تلبث هذه القوات البحرية أن لعبت دورا هجوميا، ودفاعيا تجاه البيزنطيين فى شرق البحر المتوسط(١٦).

وكان أن استعان أحد أهالى صقلية واسمه فيمن ببنى الأغلب، وكان قد ثار على قسطنطين بطريق صقلية ولكن كيف لوالى أفريقيا زياد الله أن ينقض الصلح ؟ لم يجد مخرجا إلا عندما علم بأن لديهم أسرى من المسلمين، وهذا مخالف للصلح ، فجهز أسطولا قوامه مائة مركب، بقيادة أسد بن الفرات وأقلع من سوسة فى شهر ربيع الأول سنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م. وتتفق المصادر بأن الجيش كان مكونا من أشراف العرب والجند وأهل العلم والبصائر(١٧) . وتعتبر هذه الحملة من أهم الحملات، رغم إنها لم تحقق أهدافها كاملة بسبب تفشى الوباء بين جند المسلمين، حتى هلك منهم خلق كثير ، كان بينهم قائد الحملة أسد بن الفرات. وتكمن أهمية هذه الحملة فى أنها فتحت الباب لمزيد من الحملات، والغزوات البحرية التى تتابعت بعد ذلك ، وكانت تضيف فى كل مرة أجزاء جديدة من الجزيرة إلى سابقتها. وكان فتح بلرم سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١م قد يسر الأمر أمام المسلمين ، لفتح ما بقى من أقاليم الجزيرة . ولما كان ميناء بلرم سهل الاتصال بقواعد المسلمين، على شاطئ أفريقيا فقد أمكن عن طريقه تزويد جيوش المسلمين بالإمداد، والأقوات التى كانت تصلهم بانتظام فتزيد من قدرتهم على القتال (١٨).

وعندما تم فتح صقلية الإسلامية عين أسد بن الفرات واليا، وقاضيا عليها ثم أصبح الوالى والقاضى شخصيتين متميزتين، والمعتقد أن كثيراً ما كان الجيش ينتخب الوالى، دون أن ينتظر مجئ وال جديد من أفريقيا (١٩).

وعندما ثبت العرب أقدامهم فى صقلية، فى القرن التاسع الميلادى اهتموا بوسائل الزراعة، فحفروا الترع والقنوات وشقوا المجارى المعقوفة التى كانت مجهولة قبلهم، كما أدخلوا زراعة

القطن، وقصب السكر. وفى الصناعة استغلوا ثروة الجزيرة الطبيعية ، فاستخرجوا منها الفضة والحديد والنحاس والكبريت وأدخلوا فيها صناعة الحرير[٢٠].

أما تجارة صقلية فقد اتسع نطاقها ، على أيام العرب، بعد أن بلغت الحضيض فى العصر السالف مباشرة، ولم يبق الآن فى صقلية من منشآت العرب، سوى القليل النادر، ولكنها تشهد جميعها بالروعة والجمال الآخاذ، ويكفينا ما ذكره الإدريسى فى وصف بالرمو على عهد روجر الثانى، أى بعد زوال حكم العرب بقليل، إذ أشاد بقصورها ودورها، ومنتزهاتها. ويبدو الفارق كبيرا، إذا قارنا بين أحوال صقلية من النواحى الثقافية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية عند بداية سيطرة العرب عليها، وبين أحوالها عند نهاية سيطرتهم عليها من جميع النواحى .

وقد نشط علماء صقلية ، فأنتجوا إنتاجا منوعا فى الفقه والحديث واللغة، والطب والهندسة والنجوم ، وأشتهر من العلماء فى صقلية فى زمن ابن حوقل (٣٦٥-٣٩٥هـ / ٩٧٥-١٠٠٤م) ابن أبى خرسان فى النحو والقراءات ، وعلى بن حمزة فى اللغة والشعر، والبرادعى فى الفقه المالكى ، ومحمد بن الحسين المروزى ، وفى القرن الرابع أبو عبدالله محمد بن عيسى بن مطر الذى علم فى مسجد الزهرى بالسماط وسافر إلى المشرق وكتب الحديث[٢١].

إن النهضة العلمية التى شهدتها صقلية بعد انقضاء الحكم الإسلامى على أيدى النورمان كانت بفضل رعاية ملوك النورمان ، ورجالهم للعلماء ، فكانوا يغدقون الأموال عليهم ويعاملونهم بالاحترام ، ويرفعون مراكزهم الاجتماعية فى الوظائف والألقاب لإغرائهم بالقدوم إلى صقلية . ويذكر الصفدى أن الملك روجر كان محبا لأهل العلوم الفلسفية[٢٢] وإن الإدريسى كان يجئ إليه راكبا بغلة ، فإذا صار عنده تنحى له عن مجلسه فيجلسان معا[٢٣].

كذلك كان ابنه غليالم الأول وابنه غليالم الثانى، فقد وصفهما ابن جبير . وقال أن لهما الأطباء والمنجمون، وأنهما كثيرا الاعتناء بهم، شديدا الحرص عليهم ومتى ذكر أن طبيبا أو منجما اجتاز ببلده ، أمر الملك بإمساكه وأدار له أرزاق معيشته ، حتى يسلبه وطنه[٢٤] ومع أن غليالم كما يذكر ابن جبير كان يقرأ ويكتب العربية، ويتخذ لنفسه شعارا إسلاميا ، إلا أن جوارى قصره المسلمات كن يتكتمن إسلامهن ، وإنه كان إذا مر بقصره فسمع ذكر الله، والرسول ، ممن به من النساء والفتيان فإنه يقول لهم (ليذكر كل أحد منكم معبوده ومن يدين به) وفى عبارة (تسكينا لهم) التى ذكرها ابن جبير ، ما يقطع بخوفهم من إعلان عبادتهم، فهم

يداروته وهو يداريهم ، وهم يحاولون أن يصطنعوه وهو يحاول أن يصطنعهم . وابن جبير يدعو عليه فى مواضع متفرقة من كتابه فيقول (أراح الله المسلمين من ملكته)[١٥].

والواقع أن الحضارة العربية لم تنته بانتهاء حكم العرب للجزيرة ، وإنما وجدت هذه الحضارة فى ملوك النورمان خير مشجع لها . ومن الواضح أن سبب حماية ملوك النورمان لعرب صقلية ، هو أنهم لمسوا تقدمهم فى الفنون والعلوم والصناعات ، وعرفوا تماما أن تشجيع الجالية العربية فى الجزيرة ، سيعود عليهم بفوائد عظيمة، لذلك نرى روجر الأول (١٠٦١ - ١١٠١م) يشمل العرب برعايته ويحسن المحافظة عليهم ويحميهم، حتى أنه أقبل على كتابة أوامره ومراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية[٢٦].

كذلك اتخذ ملوك النورمان لأنفسهم فى صقلية حراسا من العرب، ارتدوا زيا اختلف عن زى حراسهم من النورمان[٢٧] ولايوجد شك فى أن الشعر العربى كان يمارس فى بلاط ملوك صقلية النورمان، لكنه لم يسمع عن المدرسة الصقلية فى الشعر، إلا فى عصر الإمبراطور فردريك الثانى فى القرن الثانى عشر ، وهو الإمبراطور الذى أسماه بعض الكتاب (نصف شرقى) ، نظرا لما أحاط به نفسه من مظاهر شرقية عربية، حتى قيل أنه تعلم العربية، وأحاط نفسه بالعلماء والراقصات ، والمغنيات الشرقيات ، وشجع ترجمة الكتب العربية ، كما شجع الجغرافيين والفلكيين والأدباء العرب[٢٨] ويقول المستشرق المعروف أمارى، إنه لو زادت معرفتنا بالشعر الشعبى العربى فى صقلية ، لأصبح من الممكن أن نكشف عن صلات وثيقة ، بينه وبين الشعر الإيطالى القديم، الذى نشأ فى أواخر العصور الوسطى، وأن الباعث على ممارسة الشعر باللغة العامية فى صقلية ، هو علم أهلها بأخبار العرب، وشعرائهم، وما كانوا يلقونه من تشجيع الأمراء العرب المسلمين ويؤيد ذلك أن الشعر الشعبى المبكر فى إيطاليا يتفق مع الشعر الشعبى فى أسبانيا ، مما يدل على أن المؤثر واحد فى الحالتين [٢٩].

لذلك كانت إيطاليا سباقة إلى النهضة نتيجة الاتصال المباشر بالتراث العربى الإسلامى، حتى ليذكر (مونتجومرى وات) أن (الطابع الإسلامى كان أقرب إلى الإيطاليين آنذاك ، من الطابع المسيحى) وهذا يعنى أن الوجود الإسلامى السياسى، فى هذه النواحى رغم اندثاره ، إلا أنه ظل يمارس تأثيرا حضاريا على أوروبا، وفى ذلك دليل لايرقى إلى الشك عن الطابع الحضارى للفتوحات الإسلامية[٣٠].

وقد ترك المسلمون فى الجزيرة كثيرا من عاداتهم ، واثار لغتهم، لاتزال قائمة فى الكثير من الأسماء والأعلام، وكلمة (قلتا) التى تبدأ بها أسماء القلاع هى الكلمة العربية قلعة.

وكان تأثير العرب بعلمهم فى هذه الجزيرة أعظم من تأثيرهم بمبانيهم ، والجانب الأعظم من الألفاظ التى تعبر عن نواحى الحضارة المختلفة. وقد اضطرت جنوة أمام انتشار هذه الألفاظ العربية فى اللغة الإيطالية إلى أن تؤسس فى سنة ١٢٠٧م مدرسة لتعليم العربية[٣١].

ومن العلماء المسلمين الذين اشتهروا فى صقلية : محمد بن عيسى بن عبد المنعم من أصحاب العلم بالهندسة والنجوم، ويعتبر من الحكماء فى هذين العلمين[٣٢].

وقد بقيت اللغة العربية شائعة فى الجزيرة ، إلى أواخر القرن التاسع للهجرة، حتى أنها استخدمت لغة التخاطب والكتابة بعد الخروج العربى لمدة طويلة، وأرخوا بالتاريخ الهجرى[٣٣].

وللشعر العربى أثره فى نهضة الشعر الإيطالى، فقد حاكى أهل صقلية العرب فى العناية بالشعر، ومن صقلية انتقلت هذه العناية إلى إيطاليا ، كما أثرت القصص العربية فى الأدب الإيطالى نفسه، ويذهب بعض العلماء إلى أن شاعر إيطاليا الكبير (دانتى) قد أفاد فى روايته (الكوميديا الإلهية) من رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى، لأن التراث العربى كان شائعا فى صقلية ومنها انتقل إلى إيطاليا.

وهكذا نقل النورمانديون عناصر الثقافة العربية إلى إيطاليا وأوروبا. ومنذ القرن العاشر للميلاد ، ظهرت آثار العلوم العربية فى أوروبا ، أثر تسرب معالم الفن والأدب والعلوم العربية ، إلى الحضارة الأوروبية ، فاستخدم الأوروبيون فن هندسة بناء أبراج الكنائس ، بعد أن أخذوه عن المآذن فى مصر والشام ، كما قام معمل الحياكة الذى أسسه المسلمون فى باليرمو ، بإنتاج ملابس ملوك أوروبا. وكانت هذه الملابس تزدان بالزخارف والكتابات العربية ، وفى القرن الثالث عشر للميلاد انتشرت صناعة الحرير على النمط العربى فى مدن إيطاليا، وأصبح الطلب على هذه المنسوجات عظيما ، بعد أن أصبحت تمثل موضة العصر فى أوروبا .

والزائر اليوم للمكتبة الكبرى فى الفاتيكان بمدنية روما بإيطاليا، يجد العديد من الكتب من تأليف علماء العرب، وقد أشاد (ديبل) بأثر الحضارة العربية فى صقلية ، فقال : إن العرب حملوا معهم إلى صقلية ، مظاهر فنهم ، ونماذج قناطرهم العالية الجميلة، وفسيفسائهم من الرخام الملون، وصورهم الجميلة، وبهيج صناعاتهم وليدة علمهم، وكانت المصانع العربية مثلا يحاكيه الزمان فيما بعد[٣٤].

وأنشأ المسلمون فى بلرم مدرسة للطب تعتبر الأولى بين مدارس الطب فى أوروبا، ومن هذه المدرسة انتشرت دراسة الطب العربى فى إيطاليا ثم فى أوروبا، بعد ذلك ، كذلك أسس العرب فى صقلية مجموعة من الدواوين ، بقيت ثلاثة أنواع منها فى عهد النورمانديين، وتعتبر أثراً من آثار الحياة الديوانية الإسلامية، وهى : ديوان المظالم الذى اقتبسه روجر من المسلمين ، وكان عمل هذا الديوان النظر فى الشكاوى التى تقدم إليه وإنصاف أصحابها . وديوان الطراز: وهو ديوان إسلامى عرف فى الأقطار الإسلامية قديما، ومهمة هذا الديوان تطريز ملابس الملك، ثم ديوان التحقيق الذى كان يعنى بشئون الأرض وما يتصل بها [٣٥].

٢- الحروب الصليبية :

تمثل الحروب الصليبية فى أواخر القرن الحادى عشر الميلادى، رد فعل أوروبى هجومى، على العالم الإسلامى، الذى تحول إلى موقع الدفاع فتوالت الحملات الصليبية على الشرق الإسلامى، ونجحت فى تأسيس ممالك أربع فى بلاد الشام، وهى إمارة إنطاكية وطرابلس والرها ومملكة بيت المقدس.

وقد بالغ كتّاب القرن التاسع الهجرى، ولم يحسنوا التقدير عندما بالغوا بشكل غير عادى فى أهمية الحروب الصليبية وبلاد الشام كطريق سلكته الحضارة العربية إلى الغرب الأوروبى. فالصليبيون قصدوا بلاد الشام للحرب، لا لطلب العلوم، وامتازت حياتهم فى تلك البلاد، بما تتصف به حياة الجنود عادة من خشونة ، فلم يهتموا إلا بتحصين مواقعهم، والدفاع عن كيانهم والإبقاء على معاقلهم التى أقاموها فى الشام، وسط محيط عربى واسع، ولم تتوقف الحرب بينهم وبين العرب المسلمين ، إلا بإجلائهم نهائيا فى عصر المماليك . وتم إجلاؤهم نهائيا عن أرض الشام سنة ١٢٩١م، وإذا حدث وهدأت الحرب بين الطرفين لفترات وجيزة من الوقت ، فإنها كانت تتوقف لتستأنف من جديد بعد قليل من الزمان ونزيد من ذلك أن نصل إلى القول إنه لم تتح للصليبيين فى الشرق الحياة الهادئة الضرورية ، والمساعدة لممارسة النشاط الفكرى والحضارى، ولم تتح لهم فرصة الاتصال السلمى بالعرب، بالقدر الذى أتيحت به لإخوانهم الأوروبيون فى الأندلس وصقلية[٣٦].

وصحيح أن الصليبيين تمكنوا من تأسيس عدد من الإمارات القوية فى بلاد الشام، بالإضافة إلى مملكة بيت المقدس الشهيرة، ولكن جميع هذه المعاقل الصليبية لم تكن سوى معاقل أو ثكنات حربية متناثرة، وسط محيط من الأعداء ، سيطر عليها جو من الفزع والرعب،

لاتستقيم معه بال حال حياة علمية ناضجة ، يضاف إلى ذلك أن عصر الحروب الصليبية امتاز بنوع من الفقر على الصعيد الفكرى، فى المشرق العربى ككل، فندر الإقبال على الفلسفة ، بوفاة ابن سيناء وغيره[٣٩] ، حتى أن الخليفة العباسى فى بغداد قام بإحراق كتب الفلسفة سنة ٥٤٥هـ / ١١٥١م ومنها كتب ابن سينا نفسه.

وهكذا فإن الحروب الصليبية جاءت غنية بالحوادث المتعددة والوقائع النادرة ولكنها فقيرة بالأثر الحضارى ، الذى بولغ فيه لا سيما فى الغرب، وهو أثر محصور فى الفن والصناعة والتجارة دون العلم، والأدب . أما فى سوريا فقد تركت هذه الحروب حالة من الدمار والخراب. ومما ورثه الشرق عن تلك الحروب، ذكريات التعصب الدينى والنفور بين المسلمين والنصارى. ومن جهة أخرى فإنه علينا أن نذكر أن الفرنجة فى سوريا ، فضلا عن كون ثقافتهم دون ثقافة أعدائهم ، فقد كانوا فى الغالب جماعات عسكرية أجنبية ، تنزل فى القلاع والثكنات وتقتصر صلاتها على عامة الناس من فلاحين وصناع ، دون الطبقة الراقية المفكرة ، زد على ذلك أن التحريات القومية والتعصبات الدينية، والعداوات المتأصلة ، حالت دون تبادل الأفكار والثقافات ولم يكن عند الفرنجة من العلم والفلسفة ما يلقنونه أبناء البلاد .

وكانت سوريا وما ارتبط بمسرحها من حروب صليبية ، ذات أثر فعال فى هذا الميدان ، فالحروب الصليبية صحبها بعض النشاط الفكرى والحضارى، فظهرت مؤلفات فى التاريخ ، مثل (وليم الصورى) أو فى القانون مثل (حنا الإبليتى) و(فيليب ناقارى) كما انسابت بعض المصطلحات العربية إلى البلاد الغربية[٣٨].

كذلك أثرت الحروب الصليبية فى تطور فن الحرب عند الغربيين، لاسيما فيما يتعلق ببناء القلاع ذات الجدران المزدوجة ، هذا بالإضافة إلى ما أدت إليه الحروب الصليبية من تقدم حركات الحصار، واستعمال المجانيق والكباش الهادمة، واستخدام الدروع للفرسان وخيولهم ، وإرسال الرسائل الحربية ، عن طريق الحمام الزاجل، ومن المحتمل أن يكون الشرق العربى إبان الحروب الصليبية ، هو المصدر الذى أخذ عنه الغرب الأوروبى ألعاب المبارزة، التى تشبه كثيراً ألعاب الجريد (التحطيب) عند الشرقيين. كذلك نلاحظ كثرة استعمال الشارات، والرنوك فى الغرب الأوروبى، نتيجة للاتصال بالعرب فى بلاد الشام[٤١].

إن الاتصال الذى تم بين الأوروبيين وشعوب الشرق، فى عصر الحروب الصليبية أثارت عظمة الحضارة العربية الإسلامية، وتقدمها ونضج أصحابها دهشة الغزاة الغربيين. ذلك أن

الصليبيين كان همهم الأول الانتصار ، والاستحواذ على الأراضى الإسلامية، ومع أنهم لم يفكروا فى الاستفادة من الحضارة الإسلامية ، حتى فى إقامة مدارس يعلمون فيها أبنائهم، إلا أنهم تعلموا الشئ الكثير من حضارة المسلمين. من ذلك أنهم دهشوا لبراعة الأطباء العرب المسلمين ، لكنهم لم يفيدوا من ازدهار الطب العربى[٤٠] إلا بعد مرور أجيال وبعد طردهم من المنطقة.

واكتسب الفرنجة خلال إقامتهم فى بلاد المشرق ، إبان الحروب الصليبية أسواق جديدة، وبخاصة فيما يتعلق بالروائح العطرية والتوابل والحلوى وسواها من محصولات المناطق الحارة، ثم أن هذه الأسواق الجديدة أدت إلى إنعاش التجارة فى المدن الإيطالية وسواحل البحر المتوسط ، فاشتهرت أنواع البخور، وماء الورد الدمشقى، والروائح العطرية، التى امتازت بها دمشق . ومن العقاقير الجديدة التى تعرفوا عليها حجر الشب. ثم أن التوابل والقلفل والبهارات وغيرها جرى استعمالها فى الغرب، خلال القرن الثانى عشر الميلادى. وأهم من ذلك كله السكر ، فقد كان الأوربيون لايعرفونه من قبل، وكانوا يستخدمون العسل لتحلية أطعمتهم وكان إن عرف الأوروبيون هذا النبات (قصب السكر) الذى أخذ منذ ذلك الحين يلعب دورا هامًا، فى الحياة الاقتصادية ، وفى تركيب الوصفات الطبية. وكان السكر أول اللذائذ الفاخرة التى أدخلت إلى الغرب، ولم يبلغ درجتها طعام آخر ، ومع السكر دخلت الأشربة غير الكحولية، والماء الذى تخلط فيه بواسطة التقطير خصائص الورد والبنفسج وسواهما من الزهور كذلك دخلت شتى أنواع الحلويات ، أما الأقمشة الموصلية والدمشقية وسواهما فقد ولجت أوروبا من الشرق العربى، كما تدل عليه أسماؤها فى اللغات الأوروبية ، محرفة عن العربية[٤١].

وظل الاحتكاك بين الحضارة الغربية المتخلفة والحضارة الإسلامية المزدهرة فى الشرق حوالى القرنين ، منذ القرن الخامس حتى القرن السابع الهجرى/ منذ القرن الثانى عشر حتى القرن الرابع عشر الميلادى، فتعلم الصليبيون عن طريق الرواية الشفوية الكثير من العلوم.

لقد استحوذ الصليبيون على كثير من كتب المكتبات العربية فتعلموا اقتناء الكتب، وقرأوا القصص العربية منها كليلة ودمنة وألف ليلة وليلة وشعر الموشحات ، وتعلم الأوربيون العادات والتقاليد وبعض القيم الإسلامية، بل إنهم أخذوا عنهم أسلوب اللباس والأكل ، وأخذ كثير من المفردات يتسرب إلى اللغات الأوروبية. وما زال قسم منها حتى الآن[٤٢] مثل بازار Bazaar وكلمات أخرى مثل Sofa, Lufe مستخدمة فى أوروبا.

وكان تأثير الحروب الصليبية على الغرب في مجال الفنون والآداب أعمق وأشد، فاهتم الغربيون بلغات العالم الإسلامي، وظهرت الدعوة للعناية بدراسة اللغات الشرقية ، وبتأثير هذه الحروب الصليبية نشطت دراسة علم التاريخ عند الأوروبيين، وظهرت مؤلفات كثيرة، عن الحروب الصليبية وبيت المقدس، وتناول المؤرخون الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية بالدرس والبحث ، وأصبح لهذه المنطقة من العالم اهتمام خاص عند المؤرخين ، والجغرافيين، ازداد الاهتمام بارتياد تلك المناطق الإسلامية ، ووصف الأماكن المقدسة ، وبيان الطرق إليها ووضع الصليبيون كل هذه المعلومات والدراسات في خدمة أغراضهم العسكرية.

وكانت عنايتهم الجغرافية في أول الأمر قاصرة على سواحل آسيا الغربية ، أو الساحل الشرقي لبحر الروم، اعتقادا منهم أن هذا يعينهم على النصر على المسلمين في الأراضي المقدسة. فلما خاب أملهم في هذا الأمر ، وفشلوا في السيطرة عليها، وطرد المسلمين منها بالحرب، انتقلت عنايتهم الجغرافية من ساحل آسيا الغربي إلى قارة آسيا كلها. لقد زادت أطماعهم فزادت مناطق اهتماماتهم، واهتموا اهتماما شديدا بإيفاد البعثات التبشيرية لعلها تحقق ما عجزت الحروب الصليبية عن تحقيقه(٤٣).

ونتيجة لعنايتهم الجغرافية أخذ الأوروبيون عن العرب رسم الخرائط على أساس سليم للمعلومات الجغرافية ، وولد في نفوسهم حب الاستطلاع وروح المغامرة وتحمل المشاق كما نقلوا كثيرا من العلوم ولاسيما العلوم الرياضية والطبية.

وليس أدل على تأخر الطب آنذاك في أوروبا من إرسال صلاح الدين طبيبه الخاص ، لمعالجة عدوه قائد الحملة الصليبية الثالثة ريتشارد قلب الأسد . ولعل أبرز ما أخذه الأوروبيون عن المسلمين في الشرق فن العمارة ، فأخذوا يبنون بيوتهم بالأسلوب الشرقي، فكانت تبنى على النمط العربي وتزخرف بأسلوب إسلامي، وبأثاث عربي. وقد انتقلت هذه الأمور إلى معظم مدن أوروبا كالبندقية وغيرها .

وعرف الأوروبيون كثيرا من الحاصلات والصناعات العربية، فعرفوا نباتات السمسم. والمشمش ، والشوم ، والأرز ، وصناعة المرايا والملابس القطنية والموسلين (من الموصل)(٤٤) والمسكوكات . ونقل الأوروبيون أسلوب بناء المستشفيات من الشرق، وقد أسس البابا أنوسنت الثالث في روما في أوائل القرن الثالث عشر ، مستشفى القديس سبيرتو تقليدا للمستشفيات في سوريا ، بل وعلى طراز المستشفى النوري (نسبة إلى نور الدين زنكي) في دمشق لأنه كان مثارًا لإعجاب الأوروبيين(٤٥).

ونحن حين ننظر إلى الحروب الصليبية نجد أن أوروبا فشلت فى تحقيق كل الأغراض والأطماع التى كانت تراودها ، من وراء هذه الحروب، فلا هى حققت النصر العسكرى على المسلمين، ولا هى استطاعت أن تحتفظ بالأراضى التى استولت عليها، ولانجحت فى تحرير بيت المقدس من أيدى المسلمين، كل هذه الأهداف لم يتحقق منها شئ.

إنما الذى تحقق نتائج أخرى حضارية لم تكن فى بال هؤلاء الصليبيين، عندما قاموا بغزواتهم للعالم الإسلامى. أن النزاع فى حقيقته بين الشرق والغرب كان نزاعا دينيا حضاريا، إذ كان الصليبيون يتصورون كما لقنهم زعمائهم أن بلاد المسلمين مظلمة ، تسودها روح الجهل والظلم، وتخلو من أى أثر من آثار الحضارة ، وأنهم سيكونون رسل أوروبا لبث حضارة الغرب فى تلك البلاد، وإنقاذ المسيحيين هناك من الاضطهاد . ولكن هؤلاء المخدوعين ما لبثوا أن أفاقوا وأدركوا الحقيقة عندما جاءوا إلى الشرق واتصلوا بالمسلمين ، فقد رأوا حضارة لم تعرفها بلادهم وعرفوا الإسلام على حقيقته ، وعاد كثير منهم إلى أهله بيدى إعجابه بالإسلام، وحضارة المسلمين. إن تأثير الشرق فى تمدين الغرب ، كان عظيما بفعل الحروب الصليبية ، وهذا التأثير كان يشمل كل المجالات . وإننا إذا ما نظرنا إلى تقدم العلاقات التجارية باضطراد بين الغرب والشرق، وإلى ما نشأ عن الاتصال بينهما فى أثناء تلك الحروب، من نمو فى فنون أوروبا وصنائعها ، يتجلى لنا أن الشرقيين هم الذين أخرجوا الغرب من ظلمات التوحش إلى نور الحضارة، وأن هذا التقدم انبثق من خلال ما كانت تستعين به جامعات أوروبا من علوم العرب، وآدابهم فى عصر النهضة الحديثة[٤٦].

ثانيا : معابر مساعدة:

١- التجارة

لم تكن علاقة العرب المسلمين مع أوروبا علاقة حربية، فالإسلام مشتق من السلام ، لذلك وجدت علاقات سلام وصداقة ، فقد اشتهرت شخصية الرشيد فى أوروبا نتيجة لعلاقته الودية مع إمبراطور الدولة الرومانية المقدسة شارلمان (٧٦٨-٨١٤م) فقد قامت بين الرجلين صلات ود وصداقة ، وتبودلت بينهما السفارات والهدايا فى المدة التى بين سنتى ٧٩٧- ٨٠٦هـ ، ولاشك أن المصالح السياسية والتجارية كانت وراء هذا التقارب الودى بين الملكين [٤٧]. وتعبيرا عن تلك العلاقات ، أرسل الرشيد إلى شارلمان فيلا وساعة دقاقة ، وخيمة مطرزة بالقصب ومفاتيح كنيسة القيامة[٤٨] وبدوره أرسل شارلمان صدقات وهبات إلى فلسطين

فاستعملت فى تعمير بعض الكنائس ، وأنشأ منزلا للحجاج باسمه كما أنشأ مكتبة[٥١] وهى تدل على الحرية الدينية فى فلسطين من ناحية، وتسهيل التجارة بين الشرق وأوروبا من ناحية أخرى.

وكان لشارلمان دور فى نمو التجارة الخارجية بينه وبين الشرق، حيث عمل على تنظيم التجارة الداخلية والخارجية، كما نظم الموازين والمقاييس واهتم بالطرق التجارية[٥٠] وكان التجار يفضلون استخدام الأنهار فى نقل تجارتهم. وانتعشت التجارة البحرية كذلك فى عهد شارلمان[٥١] فكانت تتم عن طريق موانئ نانت ، وبوردو عن طريق البحر المتوسط[٥٢] فى بروفانس وسبتمانيا ولم تتوقف إطلاقا بسبب الفتوحات الإسلامية، بل نمت هذه التجارة وتطورت بين دولة الفرنجة، وبلاد الشرق، وخاصة فى فترة الرشيد (١٧٠-١٩٣هـ / ٧٨٦-٨٠٩م) والجاليات المسيحية فى مصر والشام وغيرهما من بلاد المشرق[٥٣].

وكانت أهم صادرات الشرق إلى دولة شارلمان ، المنسوجات والأقمشة المزركشة والملونة والملابس الحريرية، والنسيج الأرجوانى مثل العباءات الحريرية والمصنوعات الجلدية والروائح العطرية والأعشاب والتوابل[٥٤].

وساعد هذا النشاط التجارى الواسع بين دولة شارلمان والشرق على ظهور أهمية بعض المدن، بحكم موقعها مثل ميتز ومثل نيم Nimes وماجلون وارل وناربون التى كانت جميعها مراكز أساسية لتجارة الشرق [٥٥].

كذلك قامت علاقات سياسية بين عبد الرحمن الناصر مع ملوك شمال أسبانيا ، وإمبراطور الدولة البيزنطية قسطنطين السابع (٩٠٥-٩٥٩م) وإمبراطور الدولة الرومانية المقدسة أوتو الكبير (٩٣٦-٩٧٣م) فنراه يتبادل الهدايا ، والسفارات معهم، وهذا مظهر التفاهم الدبلوماسى بين الطرفين[٥٦] ودليل على مكانة الناصر فى حوض البحر المتوسط ، إلى درجة جعلت كلا من إمبراطور بيزنطة وأباطرة الدول الغربية يتوسطون لدى خليفة قرطبة فى أن يتم التعاون بين بلدانهم، وبينهم وبين حكام الأندلس، ولاشك فى أن هذا التعاون يشمل نواحى عدة، إذ يبدأ سياسيا، ثم اقتصاديا ، ثم ثقافيا، ولما كانت الأندلس مزدهرة فكريا وحضاريا ، فلابد أن تتجه إليها أنظار الطلاب من كافة أنحاء أوروبا . وهكذا لم يقف نشاط العرب عند حد معين ، إذ تم لهم اجتياز جبال الألب الشمالية، ودخلوا سويسرا ، وامتد نفوذهم من شواطئ بحيرة كنستانس شمالا إلى جنوة ومرسيليا ونيس جنوبا. كذلك عمل العرب بجانب

نشر تجارتهم على نشر ثقافتهم الإسلامية ، وفى مقدمتها اللغة العربية التى كانت اللغة العالمية، ولغة العلم فى العصور الوسطى، حتى إننا لانزال نرى اسم الحى العربى Canton de Sarazins يطلق على أحد أحياء مدينة نيس(٥٧).

وما أن حل النصف الثانى من القرن العاشر الميلادى حتى كانت التجارة بين أوربا الغربية والعالم الإسلامى، قد بدأت تنمو فى إطار نمط محدد، آخذ فى الازدياد ، وكان أكثر مظاهر هذه التجارة إثارة للانتباه هى أن عملية نقل السلع عبر البحر الأبيض المتوسط كانت فى أيدى الإيطاليين لا فى أيدى العرب وكان أهالى أمالفى والبندقية أول من شق الطرق عبر البحر المتوسط، لا إلى تونس فحسب بل إلى مصر والشام أيضًا . تبعهم بعد ذلك بفترة وجيزة مدينتا بيزة وجنوة اللتان سرعان ما حلتا مكان أمالفى، ربما لأنهما كانتا ميناءين أصلح من أمالفى لاستقبال السلع القادمة من الشمال، بل إنه حتى فيما يتعلق بنقل البضائع من المغرب أو من غرب الدولة الإسلامية (أسبانيا وشمال أفريقيا) إلى بلاد الشرق (٥٨)، فقد شهد نمواً مطردا وسلك طرقا برية أسهمت فى ذلك النماء منها الطريق البرى الذى يعبر جبال البرانس إلى بلاد الفرنج ، وكانت الطرق البرية، لابد أن تعبر هذه الطريق فمن الجزيرة الخضراء إلى إشبيلية إلى بلاد الفرنج أو من مرسية إلى بلنسية إلى غرناطة أو من ملقة إلى قرطبة(٥٩).

وكل هذه الطرق البرية كانت تسلكها القوافل التجارية، فكانت تمر من ممرات جبال البرانس لتلتقى بموانئ جنوب فرنسا الشهيرة بحى بروفاس وسبتمانيا (٦٠). وهناك الطرق البحرية، فكانت السفن التجارية تفرغ حمولتها فى مرسيليا أو ناربون ، حيث كانت أهم المراكز الرئيسية للتجارة ، ثم تنقل عبر الطرق النهرية فى فرنسا ، كالراين والدانوب ، والسين والرون إلى جميع أنحاء أوروبا(٦١) ولم تكن هذه هى الطرق البحرية الوحيدة ، فهناك الطريق البحرى عبر ساحل أسبانيا الغربى على المحيط الأطلسى ، وقد استعمل هذا الطريق منذ عهد عبد الرحمن الأوسط(٦٢) أما الطريق البحرى الأخير فيمر عبر الساحل الشرقى المطل على البحر المتوسط من الجزيرة الخضراء إلى البحر المتوسط لفرنسا .

ومعلوم أن الأندلس لم تنقطع علاقاتها التجارية بأوروبا ، خاصة أن تجارة الرقيق الأبيض المجلوب من أوروبا إلى العالم الإسلامى كانت عن طريق الأندلس(٦٣).

أما من ناحية التبادل التجارى فقد لعب أهل بلاد الشام الدور الأكبر فى تحمل عبء التجارة فى البحر المتوسط فكانت لهم جاليات متاجرة فى كل موانئ البحر(٦٤) كما عاشت

جاليات تجارية إيطالية فى المراكز التجارية الكبرى فى مصر والشام. وتحمل أهل الشام النصيب الأكبر من عبء التجارة فى البحر المتوسط، فكانت لهم جاليات تجارية فى كل موانئ هذا البحر، وفى الكثير من البلاد الهامة، فأقامت هذه الجاليات فى ثغور بريطانية وغالة وأسبانيا ، وأيضا فى الثغور النهرية على الدانوب [٦٥] . وكان أكبر مركز رئيسى لهم فى مرسيليا ، وانتشروا فى حوض الرون وشمال باريس وكليرمونت وتوروادج ارل. ونشطت حركة التبادل التجارى بين أسبانيا وفرنسا مع بلاد الشام ومصر ، وظلت فرنسا تستورد البردى والتوابل وغيرهما من منتجات الشرق، واحتفظت مرسيليا بأهميتها كميناء ، وكان يرد إليها زيت الزيتون الذى كان[٦٦] يستعمل فى الطهى والإنارة ، فكان يستورد بكميات كبيرة من بلاد المغرب خاصة، وكانت السفن تعود محملة بالدقيق والفراء من روسيا ، والرقيق الذى كان يجلبه التجار اليهود لمسلمى الأندلس. وكان المسلمون يعاملونهم أحسن معاملة، كما كانوا يمثلون حلقة الوصل الاقتصادية بين المسلمين والعالم المسيحى[٦٧] .

ولعبت التجارة دورا هاما فى تحضير أوروبا على يد التجار المسلمين ، وما العثور على العملات والنقود الإسلامية فى أماكن مختلفة من أوروبا إلا دليل على تغلغل التجارة الإسلامية فى أوروبا. وقد وجدت النقود الإسلامية مرارا شمال بحر قزوين وبمحاذاة نهر الفولغا ، وفى المنطقة البلطيقية الشرقية، وفى الامتدادات الجنوبية لفنلندا والنرويج والسويد ، وكانت البضائع العربية التى تنقل فى نهر الفولغا تنقل إلى المشترين فى الشرق الأوسط جلود الحيوانات ، وأسرى سلاف (منها اشتقت الكلمة الإنجليزية Slave) وقطعان وأغنام وسهام وجلود مصنعة خاصة[٦٨] .

ولربما كانت أعظم خدمة أسداها العرب إلى أوروبا هى تقديم سلع جديدة من بلاد تقع خلف المتوسط، وضمان تدفق مستمر لها، كالبهارات. وكانت معظم هذه السلع باهظة الأثمان، وهى كمالية فى غالب الأحيان، على الأقل بالمعايير الأوروبية ، ويبدو أن التكاليف الباهظة للنقل عبر مسافات شاسعة جعلت الاتجار بالسلع الضخمة والثقيلة أو بالسلع الأرخص ثمنا أمرا غير مستحب. وحين توسعت التجارة فى أوروبا على نحو أسرع من انتشار النقود لم يكن من غير المألوف أن تكون المدفوعات بالفلفل والبهارات الشرقية الأخرى[٦٩] .

وكان وجود العملات والنقود الإسلامية عاملا من عوامل نشاط التجارة ، وقد سكت العملة الأندلسية تحت ضغط الحاجة الملحة لاستخدامها فى التجارة التى اتسعت آفاقها فى كل

أرجاء الدولة الإسلامية. ويرجع تاريخ سك النقود الإسلامية فى الأندلس إلى موسى بن نصير فى سنة ٩٥هـ / ٧١٣م . إذ صار يتعامل بها إلى جانب النقود الرومانية القديمة . وسك موسى بعد دخوله طليطلة نقودا عليها نقوش تحمل عبارة التوحيد[٧٠] كما سكت عملات على هيئة العملة المستخدمة فى الشرق الإسلامى[٧١] وكان لعبد الرحمن بن معاوية عملة خاصة باسمه، كما كانت له دار لضرب العملة فى قرطبة، ولم تختلف هذه العملة عن بلاد الشام، فكانت تشبهها من حيث الشكل والوزن والنقوش، وكانت تصنع من الذهب الخالص [٧٢].

والتدليل على وجود الأثر التجارى العربى فى الغرب الأوروبى، ما نراه خلال وجود بعض الكلمات ذات الأصل العربى فى اللغات الأوروبية مثل كلمة Cheque المأخوذة من كلمة صك العربية وكلمة Magasin المأخوذة من كلمة مخازن العربية، كما نلاحظ فى بعض المصنوعات أسماء عربية الأصل، فعلى سبيل المثال، المنسوجات التى كانت تحتل مكانة عالية عند الأوروبيين فى العصور الوسطى، إذ أثارت فى نفوسهم دهشة عظيمة عندما قارنوا بينها وبين ما كانت تخرجه أنوالهم، وراحوا يتساءلون عن موضع السحر فى هذه المنسوجات الإسلامية، أهو فى دقة النسيج أم هو فى جمال الزخرفة، أم هو التنسيق بين الألوان، أم هو فى هذه جميعا[٧٣] وقد أقبلوا عليها وسموها فى لغاتهم بأسمائها العربية سواء كانت هذه الأسماء مستمدة من طبيعتها مثل القماش الذى أطلقوا عليه كلمة Chilton فقد كان فى الأصل يشف عما تحته فأخذوا هذه الكلمة، من كلمة شفاف العربية، ومثل كلمة Ricano المشتقة من كلمة رقم العربية، أو كانت هذه الأسماء مستمدة من البلاد التى اشتهرت بها مثل الجراندين Ge-randine التى كانت تنتجه مدينة غرناطة، ومثل كلمة Tabis التابس المأخوذة من كلمة العتابى (قماش من عطابية فى بغداد) وهناك أسماء عدد كبير من أسماء الأقمشة أخذها الغرب مثل الشاش، البقرم، الساتين ، الموهير ، الموصلين (من الموصل) ، الدامسكو (من دمشق)، القطن، كما أدخل العرب أيضا الانيلين الذى يعتبر مقوما هاما من مقومات أصبغة النسيج[٧٤].

وقد لعبت مصر دوراً رياديا فى انتشار التجاة وتبادلها بين الشرق والغرب ففى العهد الفاطمى كان المشرق مركزا سياسيا وتجاريا وثقافيا مهما[٧٥] وكانت مصر تسيطر على مسالك التجارة آنذاك بين الشرق والغرب، فكان الأوروبيون يفدون إلى مصر لشراء السلع الشرقية ، فساهم هذا الاتصال بين الشرق العربى والغرب الأوروبى فى نقل الحضارة العربية

الإسلامية إلى أوروبا، لاسيما بعد أن نشطت هذه العلاقات التجارية بين مصر وسوريا والمدن الإيطالية كالبندقية وفلورنسا ، ونابولى ، وجنوة وبيزا وقد نشطت هذه المدن وأقامت علاقات تجارية مع مصر والمشرق وأصبحت هذه المدن تتوقف تجارتها مع سلاطين مصر، وأدى ذلك إلى ثراء التجار، ونقل التراث العربى، واتجاه بعض الأوروبيين إلى تحصيل العلم والمعرفة العربية(٧٦).

ويكفى أن التجارة كسرت حاجز الخوف عند الأوروبيين، وجعلتهم يطلعون على بلاد جديدة، مما جعلهم يتعرفون على غرائب الكائنات والموجودات ، ومع التجارة كثرت قصص الرحلة والرحالة وهى التى قادت أوروبا إلى الاستكشافات الجغرافية التى قادتهم إلى الأمريكتين(٧٧).

٢- الترجمة :

هناك وسيلة لابد من تبيانها لأهميتها البالغة فى عملية انتقال المؤثرات الحضارية العربية إلى أوروبا ، وهى حركة الترجمة التى نشطت مع بداية القرن الثالث الهجرى. ذلك أن بداية انتقال العلوم المتطورة من بلاد العرب إلى الغرب كانت فى هذا الوقت بالذات ، فقد ترجمت بعض الكتب فى الكيمياء والطب وأحكام النجوم، من اللغة العربية إلى اليونانية فى القسطنطينية حاضرة الدولة البيزنطية، ولكن المستوى العلمى فى الدولة البيزنطية كان غير مناسب لأن تؤتى هذه الترجمات ثمرتها المنشودة(٧٨).

عرف الأسبان ما كان للمسلمين من تقدم فى العلوم ومن نظم إدارية وسياسية وتجارية وثقافية ، وكانوا يميلون إلى الأخذ بها، ودراستها والاستفادة منها. وعندما كتب للأسبان الانتصار على العرب فى حربهم الطويلة مع المسلمين التى يسميها كتابهم بحرب الاسترداد وتمكنوا من استعادة طليطلة عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م، وتقرر مصير الجزيرة بذلك ، أخذ ملوك قشتالة يعملون على رفع مستوى الثقافة بين شعبهم، بنقل كنوز الثقافة الإسلامية إلى لغاتهم، ومن ثم ظهرت فى طليطلة مدرسة المترجمين التى نقلت العلوم الإغريقية وما أضافه العرب إليها من شروح وتعليقات إلى المدارس الأوروبية، وقد نقلت مدارس الترجمة التى نشرت كافة العلوم التطبيقية والبحتة، والعلوم الإنسانية وكانت طليطلة مهدا لهذه الحركة فانتشرت فيها المكتبات التى نقلت إليها من المشرق آلاف المجلدات . وكانت الترجمة تتم من العربية إلى

اللاتينية عبر العبرية، إذ يقوم اليهود بنقل الكتاب إلى العبرية من العربية، ثم يعاد نقله مرة أخرى إلى اللاتينية، وكان ريموندو Raimondo أسقف طليطلة وكبير مستشارى ملوك قشتالة آنذاك هو الذى شجع حركة الترجمة ونقل الكتب العربية إلى اللاتينية، وكان لجهوده تلك، أبعد الأثر فى مصير أوروبا كما يقول رينان ، ثم توالى خلفاؤه من الأساقفة فى تشجيع هذه الحركة والحرب عليها حتى استمرت أكثر من قرن[٧٩].

إن العدد الكبير من الكتب التي ترجمت من العربية إلى اللاتينية أو الإيطالية أو العبرية، وهى كتب تملأ المكتبات الأوروبية منذ زمن مبكر، تدل على تقدم العلم الإسلامى بجميع فروعه.

ففى الأندلس برز الكثير من العلماء الذين اهتموا بالترجمة والتعريب ، منهم جيرارد الكريمونى (١١١٤-١١٨٧م) الذى كان يترجم من العربية إلى اللاتينية، وقد نسب إليه ترجمة واحد وسبعين كتابًا فى مختلف العلوم، ويأتى فى مقدمتهم خلال النصف الأول من القرن الثانى عشر يوحنا الاشبيلى، وكان يترجم من اللغة العربية إلى اللغة اللاتينية[٨٠] ونقل بعض مولفات ابن سينا (النفس) و(الطبيعة) ، (ما وراء الطبيعة) وبعض آثار الغزالى (مقاصد الفلسفة) وابن جبرول (ينبوع الحياة) ، وهناك مترجم آخر هو يوحنا الأسبانى الفلكى الذى ترجم من العربية إلى اللاتينية بعض كتب أبى معشر الفلكى والفرنمانى عام ١١٣٤م وبعض كتب فى الرياضة للخوارزمى انتقل بفضلها النظام العشرى فى الحساب إلى أوروبا، وبفضل هذه الكتب أيضا عرفت أوروبا (الصفر) فأدخلته فى نظامها العددى، وبذلك استغنت عن الطريقة التى كانت تعتمد على القيم العددية للحروف الأبجدية[٨١].

ويرى (سيزكين) إن طريق الأندلس كان أحد الأسباب الرئيسية فى انتقال المعرفة عن المسلمين ، إذ أن الترجمة لم تكن الطريق فقط، بل كان الاحتكاك المباشر له أهمية كبرى أيضا كما حدث فى الأندلس.

ويرى (سيزكين) أيضا أن أقدم ما ترجم كان كتابا فى علم الفلك، ومن الطبيعى- من وجهة نظره - ألا ينتظر - أحد منهم فى هذه المرحلة المبكرة أن يستطيعوا ترجمة الكتب النظرية ذات المسائل المعقدة ، فكانت أقدم ترجماتهم تتعلق بالاسطرلاب والهندسة العملية، والجدير بالذكر هنا أن المترجمين لم يجدوا فى كثير من الأحوال اصطلاحات لاتينية مقابلة للاصطلاحات العربية ، مما اضطرهم إلى اقتراض الاصطلاحات العربية كما هى[٨٢].

وكان أهم ما ترجم من كتب العرب كتب الفلسفة ، وذلك لأن العقلية الأوروبية وقتذاك كانت مشغولة بالمشاكل الفلسفية ، التى تعالج العقيدة أو بمعنى آخر الفلسفة اللاهوتية ، التى عرفت بالفلسفة المدرسية، لأنها كانت تدرس فى المدارس، ومن يقومون بها يسمون المدرسين، وقامت الفلسفة المدرسية على يد القديس أوغسطين (St. Augustin) [٨٣]، وكانت هناك دوافع دفعت الأسبان إلى النقل والترجمة عن العرب وتدارس كتبهم منها: الدفاع عن الديانة المسيحية وذلك عن طريق التعرف على آراء العدو ودراستها لمعارضتها ، وإظهار تفوق العقيدة المسيحية عليها من باب اعرف عدوك. ومنها أيضا: الرغبة فى تحصيل العلم والمعرفة ، خاصة أن أسبانيا كانت تعانى من فقر ثقافى شديد وتخلف كبير. وأخيرا: رغبة المغلوب دائما فى تقليد الغالب[٨٤] ورغبة الضعيف فى التشبه بالقوى، فقد كان العرب أقوياء، ولهم الغلبة، ولذا حاولت أوروبا أن تتشبه بالعرب فى ذلك الوقت[٨٧].

وقد امتدت الفترة الزمنية لمرحلة الترجمة إلى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى ، وتميزت باهتمامها الكبير بترجمات المؤلفات العربية التى تسير على الخط الارسطاطالى . أما المترجمون فظلوا خليطا من الجنسيات الأوروبية ، مثال ذلك الإنجليزى ميخائيل الاسكتلندى، وميخائيل سكوت ، الذى ترجم عام ١٢٧١م، كتب البطروجى، الذى يتبع خط أرسطو الفكرى ، وفيه شكك المؤلف بنظرية بطليموس فى الفلك التى كانت معتمدة خلال العصور الوسطى، وربما اعتمد على أفكاره العالم المشهور كوبرنيق الذى أجهز على النظرية، وقد طبعت هذه الترجمة فى بولونيا عام ١٤٩٥م ، كما أن المترجم ذاته ترجم كتبا لأرسطو مع شروح وتعليقات عليها لابن سينا[٨٦].

وقام الراهب الأسبانى ماركوس بترجمة كتب جالينوس فى الطب إلى اللاتينية من العربية، كما ترجمت تحت إشراف الأسقف جنمنيث دى رادا عدة كتب إسلامية ، كان فى مقدمتها القرآن الكريم، إضافة إلى بعض المؤلفات الدينية الأخرى[٨٧].

وقد نشطت الترجمة حتى بعد سقوط طليطلة عام ١٠٨٥م حيث استمر كثير من المسلمين واليهود المتكلمين بالعربية فى الإقامة بها، وقد أدرك ريموندو الذى كان أسقفا لطليطلة من عام ١١٢٥م وحتى وفاته عام ١١٥١م، أن هذا الوضع يتيح فرصة عظيمة لممارسة الترجمة، فعكف على تشجيع الباحثين والعلماء للمجيئ إلى طليطلة للمساهمة فى مشروع الترجمة ، لذا اشتهر عدد من التراجمة منهم دومنيك جوند يالفى الذى عمل مع عدد من التراجمة مثل يوحنا الاشبيلى ، وابن داود اللذين كانا من المتكلمين بالعربية ، وكان دومنيك هذا يقوم بانتقاء

الأعمال التى يترجمها، ويعطى النص اللاتينى صيغته النهائية، فى حين كان مساعدوه قد نقلوا إلى اللاتينية الفكرة الأساسية للأصل العربى، ويبدو أن معظم الترجمات فى القرن الثانى عشر كانت تتم على هذا النحو(٨٨).

كذلك أسهمت أجزاء أخرى من أسبانيا فى أعمال الترجمة فى القرن الثانى عشر فقبل ذلك بقليل ظهر هو جونديسالفى الذى ترجم كتبًا علمية بناء على طلب أسقف طرسونة، وهى مدينة صغيرة تقع إلى الغرب من سرقسطة، وعلى الساحل الشرقى من مدينة برشلونة قام بلاتو اليقولى مع إبراهام بازجية بترجمة كتب فى الهندسة والفلك من العربية إلى اللاتينية(٨٩).

ويعتبر جوند يسالفى شيخ المترجمين لجهوده الكبيرة فى الترجمة، حيث ألف كتبا نجد فيها لأول مرة آثار الفلسفة الإسلامية. وبدأت عقول ممتازة من الأوروبيين فى قراءة آثار الفلاسفة المسلمين المترجمة حيث بدأت النهضة الحقيقية للفكر الفلسفى الأوروبى، وذلك فى القرن الثالث عشر(٩٠).

وبلغ الاهتمام بالترجمة من العربية إلى اللاتينية أوجه فى عهد الفونسو العاشر (الملقب بالحكيم) . ففى هذا العصر تناولت أيدى الأسبان كتبا عربية فى الحكم والألغاز نقل أصحابها فيها حشدا من آراء الفلاسفة المسلمين ومفكريهم.

وترجمت عن العربية كتب فى الألعاب كالشطرنج ، واستعملت الموسيقى الأندلسية فى صياغة الأغانى الأسبانية ، وذاعت بينهم ترجمات لكتب عربية مشرقية فى الحكمة والقصص والأمثال إلى اللغات الأوروبية الحديثة منها: كتاب كليلة ودمنة، الذى ترجم إلى الأسبانية سنة ١٢٥١م، ثم إلى اللاتينية ، وكتاب رحلات السندباد الذى انتشر فى أوروبا بعنوان (الرؤساء الحكماء السبعة) وقد ترجم إلى اللاتينية ترجمة لاتزال محفوظة فى العديد من المخطوطات، وقام بطرس الفونسو فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى بترجمة مجموعة من القصص العربية(٩١).

وبعد أن نشطت حركة الترجمة فى صقلية وأسبانيا أيما نشاط بحكم اتصال هذين البلدين بالعرب وتمرسهم بثقافاتهم وأفكارهم ، أخذت تتحول حركة الترجمة إلى مراكز أخرى فى أوروبا ابتداء من القرن الحادى عشر منها إنجلترا وإيطاليا. وكان الطريق يمر عبر صقلية وأسبانيا والمغرب العربى. فمن المعروف أن ما نقله قسطنطين الأفريقى يجاوز السبعين كتابا عربيا إلى سالرنو ، وذلك عن طريق الترجمة، أو نسبة بعض الكتب إليه منها. على سبيل المثال: كتاب (كامل الصناعة الطبى) لعلى بن موسى المجوسى، الذى ظل متداولا عند الأطباء

على أنه من مؤلفات قسطنطين الأفريقى إلى أن تمت ترجمة الكتاب الأصلى فلفتت الحقيقة أنظار المشتغلين فى هذا الحقل [٩٢].

وقد استمر الأوروبيون ينهلون من الكتب العربية ترجمة واقتباسا ، وفى القرن الرابع عشر زاد عدد المشتغلين بالعلوم المترجمة عن العربية، واعتاد كثير منهم تأليف كتب مرجعية ضخمة فى مختلف التخصصات ، منها تلخيص للكتب العربية المترجمة ، ولكن هؤلاء الملخصين اعتادوا حذف أسماء العلماء العرب، وذكروا بدلا عنها أسماء علماء الإغريق المشار إليها فى المصادر العربية، فقد ذكروا بطليموس وكتابه فى الفلك مع أن مصدرهم كان كتاب البتانى ، صحيح أنه أخذ النظام البطليموس ، ولكن كتابه كان يحتوى على اكتشافات مهمة بالمقارنة ببطليموس [٩٣].

ويعتبر الفونس الحكيم- وهو نفسه عالم مستنير – من حماة العلم وأهله، ظهر فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر وأسهم فى المجموعة الفلكية الضخمة، وترجم كثيرا من كتب الفلك والنجوم والآلات الفلكية من العربية إلى اللغة القشتالية.

ومن مترجمى ذلك العصر كان ارمينجو Armengand فترجم عن العربية كتابا منسوبا إلى جالينوس والأرجوزة لابن سينا مع شرحها لابن رشد[٩٤] ، وتوجد مجموعة أخرى من التراجمة يضيق المقام عن ذكرهم ، لكثرة ما ترجموا ونقلوا من معارف عربية سواء إلى اللغة اللاتينية أو إلى اللغات الأوروبية أو العبرية ويهمنا أن نقف على الأثر الذى خلفته حركة الترجمة هذه فى المجتمع الأوروبى فى العصور الوسطى. ولعل خير من أفصح عن ذلك الفيلسوف رينان فى كتابه الذى مضى على تأليفه أكثر من قرن حول (ابن رشد والرشدية) عندما قال : إن إدخال النصوص العربية فى دراسات الغرب الأوروبى، يقسم تاريخ الفلسفة والعلم إلى فترتين مختلفتين بصورة كلية، فى الأولى، كان على النفس الإنسانية أن ترضى تطلعاتها إلى المعرفة بتلك البقايا الفقيرة ، المحفوظة فى المدارس الرومانية لعصر الانحطاط ، أما الفترة الثانية فقد استفاد الغرب من المؤلفات الأصلية لليونان والعرب[٩٥].

لقد أدى الاختلاط بين الغربيين والعرب المسلمين عبر كل الوسائل والطرق التى ذكرت حتى الآن ، إلى اقتباسهم شيئا كثيراً من الحضارة العربية الإسلامية، على مختلف الأصعدة والميادين ، ولاسيما فى مجال العلوم الرياضية والفلكية والطبية والصيدلانية والفلسفية والجغرافية ، مما جعل أوروبا تنتقل من مرحلة نومها الطويل عبر قرون عديدة مظلمة، إلى مرحلة أكثر وضوحاً وإشراقا وتأثيرا فى جميع مناحى الحياة العامة بصورة إيجابية [٩٦].

الهوامش

١- توماس ارنولد الفريد جيوم، تراث الإسلام، ص٧٢ .

٢- عبد الرحمن بدوى، دور العرب فى تكفير الفكر الأوروبى، ص١١ .

٣- محمود إسماعيل ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٥٨ .

٤- حسان حلاق ، دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٦٤ .

٥- يوسف محمود، الإنجازات العلمية فى الحضارة الإسلامية ص٢٢٢ .

٦- رحاب خضر عكاوى، الموجز فى تاريخ الطب عند العرب، ص٣٢٠، كذلك عامر النجار، فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، ص١٧٣ .

٧- أحمد على الملا، أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية، ص١٢٩ .

٨- عبد الرحمن بدوى، دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، ص٣٨ .

٩- على محمد راضى الأندلس والناصر ، ص٤٠ .

١٠- على عبدالله الدفاع ، تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين ، ص٣٠١ .

١١- عبد الرحمن بدوى، دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، ص٤١ .

١٢- يوسف محمود، الإنجازات العلمية فى الحضارة الإسلامية، ص٢٢٥ .

١٣- عز الدين فراج، فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية ص٢١١، كذلك زنغريد هونكة ، شمس العرب تسطع على الغرب، ص٤٩٠ .

١٤- أحمد بدر ، تاريخ الأندلس (السقوط والتأثير الحضارى) ص٤٠٢ .

١٥- ابن الأثير ، الكامل فى التاريخ ، ج٥ ص٨٩ .

١٦- د. عزيز أحمد، تاريخ صقلية الإسلامية، ص٨ .

١٧- ابن عذارى ، البيان المغرب فى تاريخ أخبار الأندلس والمغرب، ص٣٥٥ .

١٨- د. طه ندا، فصول من تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص١٩٥ .

١٩- إحسان عباس، العرب فى صقلية، ص٥٠ .

٢٠- سعيد عبد الفتاح عاشور، فضل العرب على الحضارة الأوروبية، ص٧ .

٢١- ابن عذارى ، البيان المغرب، ص٢٦٤ ، ابن حوقل ، صورة الأرض ، ص١٢١ .

٢٢- الصفدى ، الوافى بالوفيات ، ج٤ ، ص٦٥٧ .

٢٣- المصدر نفسه ، ص٦٥٨ .

٢٤- ابن جبير ، رحلة ابن جبير ، ص٢٢٥ .

٢٥- المصدر نفسه ، ص٣٢٠ .

٢٦- سعيد عبد الفتاح عاشور ، حضارة ونظم أوروبا فى العصور الوسطى ، ص٢٦٢ .

٢٧- المصدر نفسه ، ص٢٦٤ .

٢٨- المقريزى ، السلوك ، ج١ ، ق١ ، ص٢٢٢ .

٢٩- جب، تراث الإسلام، ص١٧٤ .

٣٠- محمود إسماعيل ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٦٠ .

٣١- محمد كرد على، الإسلام والحضارة العربية، ج١ ، ص٢٨٧ .

٣٢- القفطي ، أخبار الحكماء، ص١٨٩ .

٣٣- محمد كرد على ، الإسلام والحضارة العربية، ج٢ ، ص٢٩١ .

٣٤- أحمد على الملا، أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية، ص١٢٥ .

٣٥- إحسان عباس ، العرب فى صقلية، ص١٤٧ .

٣٦- المدنية الإسلامية وأثرها فى الحضارة الأوروبية ، ص٥٦-٦٠ .

٣٧- د. بيكر ، تراث الإسلام، ص١٠٦ .

٣٨- سعيد عاشور: المدنية الإسلامية، ص٥٧-٥٨ .

٣٩- بيكر، تراث الإسلام، ص١١٥ .

٤٠- توفيق الطويل، فى تراثنا العربى والإسلامى، ص١٥٢ .

٤١- Hiti , History of the Arabs , pp. 662, 663, 667, 668

و انظر كذلك : Hiti , The Arabs Short History, pp. 180, 181, 182, 183.

٤٢- توماس أرنولد ، تراث الإسلام، ص١٠١ .

٤٣- طه ندى ، فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، ص١٩٢ .

٤٤- توماس أرنولد ، تراث الإسلام، ص١٠١ .

٤٥- المصدر نفسه ، ص٥٠٠ .

٤٦- غوستاف لوبون، حضارة العرب، ص٣٦٧ ، ٣٦٨ ، وانظر كذلك : نجيب العقيقى، المستشرقون، ج١ ، ص٧-١٨ ، كذلك : فيليب حتى، موجز الشرق الأدنى، ص٢٢٤ .

٤٧- أحمد مختار العبادى، التاريخ العباسى والأندلسى ، ص٨٩ .

٤٨- عبد العزيز سالم ، العصر العباسى الأول ، ج٣ ، ص٧١ .

٤٩- عبد العزيز الدورى ، العصر العباسى الأول ، ص١٢٠ .

٥٠- سعيد عبد الفتاح عاشور، أوروبا العصور الوسطى، ج١ ، ص٢١٣ .

٥١- Lovisseet R. Hist . de France vol III , p. 338 .

٥٢- سعيد عبد الفتاح عاشور، النهضة الأوروبية فى القرن الثانى عشر، ص٨٩ .

٥٣- Lovisset R. Hist de Frence vol II . p. 338 , 339 .

٥٤- منى حسن محمود ، المسلمون في الأندلس وعلاقاتهم بالفرنجة ، ص٢١٤ .

٥٥- سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى، ص٢١٤ .

٥٦- أحمد مختار العبادى، فى تاريخ المغرب والأندلس، ص٢١٦ .

٥٧- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام ، ج٣ ص٢٤٢ .

٥٨- مونتجومرى وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية، ص٣٠ .

٥٩- ياقوت الحموى، معجم البلدان ، ج٢،١، ص٢٦٢ ، ٢٦٤ .

٦٠- شكيب أرسلان ، تاريخ غزوات العرب ، ص٨٨ .

٦١- منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس، ص٢٢٥ .

٦٢- أحمد مختار العبادى، دراسات فى تاريخ المغرب والأندلس ، ص٢٥١ .

٦٣- محمود إسماعيل ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٦٢ .

٦٤- أرشيبالد لويس ، القوى البحرية فى البحر المتوسط، ص١٢٠ .

٦٥- منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس، وعلاقاتهم بالفرنجة ، ص٢٢٩ .

٦٦- أرشيبالد لويس، القوى البحرية، ص١٢٠، حسين مؤنس ، المسلمون فى حوض البحر المتوسط ، ص٥٢ .

٦٧- Pirenne, Mohammed and Charlemagne p. 174.

٦٨- مجموعة مؤلفين، عبقرية الحضارة العربية، منبع الحضارة الأوروبية ، ص٣٣٧ .

٦٩- المصدر نفسه، ص٣٤٤ .

٧٠- منى حسن محمود، المسلمون فى الأندلس، ص٢٣٣ .

٧١- عبد الحميد الشرقاوى ، الحالة الاقتصادية فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى، ص١٣٥ ، وارشيبالد لويس، القوى البحرية فى البحر المتوسط ، ج١، ص٢٦١ .

٧٢- عبد الرحمن فهمى محمد، دراسة لبعض التحف الإسلامية، ص١٩٩ .

٧٣- أنيس الأبيض ، بحوث فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص١٧ .

٧٤- مجموعة مؤلفين، عبقرية الحضارة العربية، منبع الحضارة الأوروبية ، ص٣٤٥ .

٧٥- عبد المنعم ماجد، تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى، ص٢٩٠ .

٧٦- حكمت عبد الكريم فريحات، مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص١٦١ .

٧٧- عبد الحليم منتصر، تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، ص٢٥٦ .

٧٨- فؤاد سيزكين، محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية، مجلد ١، ص١٢١ .

٧٩- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب، ص٥٦٨ .

٨٠- حسان حلاق ، دراسات فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ص٢٧١ .

٨١- محمد عبد الرحمن مرحبا ، المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب ، ص٥٦٩ .

٨٢- فؤاد سيزكين ، محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية، ج١، ص١٢١ ، ١٢٢ .

٨٣- عبد المنعم ماجد ، تاريخ الحضارة الإسلامية، ص٢٩١ .

٨٤- محمد عبد الرحمن مرحبا، المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب، ص٥٧١ .

٨٥- رمضان الصباغ ، العلم عند العرب وأثره على الحضارة الأوروبية، ص٢٩٧ .

٨٦- أحمد بدر ، تاريخ الأندلس، ص٤١٢ .

٨٧- المصدر نفسه، ص٤١٣ .

٨٨- مونتجومرى وات ، فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ص٨٤ .

٨٩- المصدر نفسه ، ص٨٥ .

٩٠- عبد الرحمن بدوى، دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، ص٣١ .

٩١- المصدر نفسه ، ص٦٧ .

٩٢- فؤاد سيزكين، مصدر سابق، ص١٢٥ .

٩٣- المصدر نفسه، ص١٢٩ .

٩٤- توفيق الطويل، الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، ص١٦٢ .

٩٥- Renan , Averries 1, Averroishne pp; 158, 159 .

٩٦- الكسندر، ستيفتش ، تاريخ الكتاب، ترجمة محمد الأرناؤوطى ، ص٢٤٦ ، عمر الإسكندرى وسليم حسن ، تاريخ أوروبا الحديثة وآثار حضارتها، ص٦٠٥ ، كذلك إبراهيم زعرور وعلى الأحمد، المؤثرات الحضارية العربية الإسلامية فى الغرب الأوروبى خلال العصور الوسطى، ص١٨ .

المصادر والمراجع

أولا : باللغة العربية:

ابن الأثير: أبو الحسن عز الدين على بن أبى الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم، (ت ٦٣٠هـ / ١٢٣٨م).

١- الكامل فى التاريخ ، دار صادر، بيروت .

ابن جبير : محمد بن أحمد بن جبير الكنانى الأندلسى المكنى بأبى الحسين.

٢- رحلة ابن جبير ، المسماة : تذكرة بالأخبار عن اتفاقات الأسفار تقديم د. محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب اللبنانى ، دار الكتاب المصرى ، القاهرة، بدون تاريخ .

ابن حوقل : أبو القاسم بن حوقل النصيبى (ت ٣٦٧هـ / ٩٧٧م) .

٣- صورة الأرض ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٩٢م.

ابن عذارى : أبو عبدالله محمد المراكشى (ت نهاية القرن السابع الهجرى)

٤- البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، جزءان، تحقيق ومراجعة ج.س- كولان ولافى برفنسال - دار الثقافة، بيروت .

الأبيض ، أنيس (دكتور)

٥- بحوث فى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الأولى جروس برس، بيروت ، ١٩٩٤م.

الإسكندرى . عمر وسليم حسن.

٦- تاريخ أوروبا الحديثة أثار حضارتها، دار المعارف ، القاهرة، ١٩١٧م.

أحمد، عزيز (دكتور) .

٧- تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة: د. أمين توفيق الطيبى، الدار العربية للكتاب، بيروت ١٩٨٠م.

إسماعيل ، محمود (دكتور) :

٨- تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الطبعة الثالثة، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع ، الكويت ١٩٩٢م.

الحموى : شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومى (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .

٩- معجم البلدان ، دار إحياء التراث ، بيروت ١٩٨٠م.

الدفاع ، على عبدالله (دكتور)

١٠- تاريخ الرياضيات عند العرب والمسلمين، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٩٨١م.

الدورى، عبد العزيز (الدكتور).

١١- العصر العباسى الأول، دراسة فى التاريخ السياسى والإدارى والمالى الطبعة الثانية، دار الطليعة للطباعة و النشر ، بيروت ١٩٨٨م.

ارسلان ، شكيب.

١٢- تاريخ غزوات العرب، القاهرة، ١٣٥٢هـ .

الشرقاوى ، عبد الحميد

١٣- الحالة الاقتصادية فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى، جامعة القاهرة، ١٩٥٠م.

الصباغ ، رمضان (دكتور)

١٤- العلم عند العرب، وأثره على الحضارة الأوروبية ، الطبعة الأولى، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، إسكندرية ، ١٩٩٨م.

الصفدى: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٢م) .

١٥- الوافى بالوفيات ، فيسبادن ، ١٩٧١م.

الطويل، توفيق (دكتور) .

١٦- فى تراثنا العربى والإسلامى، سلسلة عالم المعرفة، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت ١٩٨٥م.

العبادى ، أحمد مختار (الدكتور) .

١٧- فى التاريخ العباسى والأندلسى ، دار النهضة العربية ، بيروت ١٩٧٢م.

١٨- فى تاريخ المغرب والأندلس، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية.

العقيقى: نجيب.

١٩- المستشرقون ، القاهرة، بدون تاريخ .

القفطى : جمال الدين أبو الحسن على (ت ٦٣٦هـ / ١٢٤٨م)

٢٠- أخبار الحكماء بأخبار الحكماء، القاهرة ١٣٢٦هـ .

المقريزى : تقى الدين أبو العباس أحمد بن على (ت ٨٤٥هـ / ١٤٤١م)

٢١- السلوك لمعرفة دول الملوك ، جزئين ، نشر وتحقيق: د. محمد مصطفى زيادة، لجنة التأليف، والترجمة والنشر، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٣٤ ، الطبعة الثانية ١٩٥٦م،ج٣ ، تحقيق د. سعيد عبد الفتاح عاشور، القاهرة ١٩٧٠م. ١٩٧٢م.

الملا، أحمد على:

٢٢- أثر العلماء المسلمين فى الحضارة الأوروبية، دار الفكر، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٨١م.

النجار، عامر (دكتور)

٢٣- فى تاريخ الطب فى الدولة الإسلامية، دار الهداية ، القاهرة، ١٩٨٦م.

بدر، أحمد (دكتور)

٢٤- تاريخ الأندلس ، التجزؤ- السيادة المغربية، السقوط والتأثير الحضارى مكتبة أطلس، دمشق ١٩٨٣م.

بدوى، عبد الرحمن:

٢٥- دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٧٩م.

توماس أرنولد ، الفريدجيوم:

٢٦- تراث الإسلام ، كتب فصوله : ب ترند، أرنست بيكر، أ ر. جب، ألفرد جيوم، ١٠ هـ ، توماس أرنولد، مارتن برجز، قامت على ترجمته ونشره بالعربية، لجنة الجامعيين لنشر العلم، جزئين، القاهرة ١٩٣٦م.

حتى، فيليب:

٢٧- موجز الشرق الأدنى، ترجمة أنيس فريحة، بيروت، ١٩٧٠ .

حسن : حسن إبراهيم (الدكتور)

٢٨- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى، ج٣ ، الطبعة السادسة ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٦٥م.

خلاق ، حسان (الدكتور)

٢٩- دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٩م.

راضى ، على محمد

٣٠- الأندلس والناصر، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر، القاهرة.

زعرور ، إبراهيم (الدكتور) ود. على أحمد

٣١- المؤثرات الحضارية العربية الإسلامية فى الغرب الأوروبى خلال العصور الوسطى، دار المستقبل ، دمشق.

سالم ، السيد عبد العزيز (دكتور)

٣٢- العصر العباسى الأول، دراسات فى تاريخ العرب، ج٣، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.

٣٣- تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٨١م.

ستيفيتش ، الكسندر

٣٤- تاريخ الكتاب ، ترجمة محمد الأرناؤوط ، سلسلة عالم المعرفة ، يصدرها المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ١٩٩٣م.

سيزكين ، فؤاد

٣٥- محاضرات فى تاريخ العلوم العربية والإسلامية ، سلسلة نصوص، ودراسات، المجلد الأول، منشورات تاريخ العلوم العربية الإسلامية، فرانكفورت ١٩٨٤ .

عاشور ، سعيد عبد الفتاح (دكتور)

٣٦- أوروبا العصور الوسطى، ج١ ، التاريخ السياسى الطبعة السادسة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ١٩٩١م.

٣٧- حضارة ونظم أوروبا فى العصور الوسطى، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧٦ .

٣٨- فضل العرب على الحضارة الأوروبية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

٣٩- النهضة الأوروبية فى القرن الثانى عشر ، ١٩٥٦م.

عباس، إحسان (دكتور)

٤٠- العرب فى صقلية ، دراسة فى التاريخ والآداب، دار الثقافة ، بيروت ١٩٧٥ .

عكاوى ، رحاب خضر (الدكتور)

٤١- الموجز فى تاريخ الطب عند العرب، دار المناهل ، الطبعة الأولى بيروت ١٩٩٥م.

على، محمد كرد

٤٢- الإسلام والحضارة العربية، الطبعة الثالثة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م.

فراج ، عز الدين (دكتور)

٤٣- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربى القاهرة.

فريحات ، حكمت عبد الكريم (الدكتور) وإبراهيم ياسين الخطيب.

٤٤- مدخل إلى تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، ١٩٨٩م.

لوبون، جوستاف

٤٥- حضارة العرب، ترجمة عادل زعيتر ، مطبعة البابى الحلبى القاهرة، ١٩٤٨م.

لويس، ارشيبالد

٤٦- القوى البحرية فى البحر المتوسط ، ترجمة أحمد محمد عيسى ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠م.

ماجد، عبد المنعم (الدكتور)

٤٧- تاريخ الحضارة الإسلامية فى العصور الوسطى ، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة ، القاهرة ١٩٨٦م.

مؤنس ، حسين (الدكتور)

٤٨- المسلمون في البحر المتوسط، المجلة التاريخية، تصدرها الجمعية التاريخية المصرية ، المجلد الرابع، ١٩٥١م.

مجموعة من المؤلفين :

٤٩- عبقرية الحضارة العربية، منبع النهضة الأوروبية، ترجمة عبد الكريم، محفوظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، بنغازى، ١٩٩٠ .

محمد، عبد الرحمن فهى (الدكتور)

٥٠- دراسة لبعض التحف الإسلامية، حولية كلية الآداب، جامعة القاهرة، مجلد ٢٢ ، العدد١ ، ١٩٦٠ ، مطبعة جامعة القاهرة ١٩٦٤م.

محمود، منى حسن (دكتورة)

٥١- المسلمون فى الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة (٩٢-٢٠٦هـ / ٧١٤-٨١٥م) دار الفكر العربى ، القاهرة ١٩٨٦ .

محمود، يوسف

٥٢- دور العرب فى تكوين الفكر الأوروبى، القاهرة .

مرحبا، محمد عبد الرحمن (دكتور)

٥٣- المرجع فى تاريخ العلوم عند العرب ، دار الفيحاء ، طرابلس، ١٩٨٩ .

منتصر ، عبد الحليم (الدكتور)

٥٤- تاريخ العلم ودور العلماء العرب فى تقدمه، الطبعة الخامسة، دار المعارف بمصر ١٩٧٣م.

ندا، طه (الدكتور)

٥٥- فصول من تاريخ الحضارة الإسلامية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٧٣م.

هونكة ، زنغريد

٥٦- شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وآخرون، الطبعة الثالثة، المكتب التجارى للطباعة، والتوزيع والنشر بيروت، ١٩٧٩م.

وات ، مونتجومرى

٥٧- أثر الحضارة العربية الإسلامية على أوروبا، ترجمة : جابر أبى جابر، دمشق وزارة الثقافة ١٩٨١م.

٥٨- فضل الإسلام على الحضارة الغربية ، ترجمة : حسين أحمد أمين، الطبعة الأولى ، مكتبة مدبولى ، القاهرة ١٩٨٣م.

ثانيا : باللغة الأجنبية :

59- Hitt , p. k.

History of The Arab , London - 1949 .

60- The Arabs: Short History Prenston 1941 , 1944 .

61- Lovisset History de France Depuis Origines Jusque 1906 .

(Revolution) Paris, 1911 .

Pirenne (Henri).

62- Mohammed and charlemagne.

London 1911 .

63- Averries I, Averrostine, Paris 1862 .